

مبحث

الفتن والابتلاءات

إعداد : فضيلة الشيخ

أبي عبد الله

عادل الشوربجي

حفظه الله

مبحث

الفتن والابتلاءات

بسم الله الرحمن الرحيم

معني الفتنة : الابتلاء والاختبار والامتحان وهي مأخوذة من قولك فتنت الذهب والفضة إذا أذبتهم بالنار ليميز

الرديء من الجيد .

والفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع عليه الانسان من شدة ورخاء وهما في الشدة أظهر معنا وأكثر

استعمالا ، قال تعالى : { وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } [الأنبياء: ٣٥]

وللفتنة وجوه منها : الشرك والضلالة والنفاق والبلاء وعذاب الناس والحرق بالنار والصد عن سبيل الله وغير

ذلك ...

قال ابن القيم رحمه الله : لفظه الفتنة في القرآن يراد منها

أولا : الامتحان الذي لم يفتتن صاحبه بل خلص من الافتتان ومنه قوله تعالى : { وَقَتْنَاكَ فُتُونًا } [طه: ٤٠]

ثانيا : تطلق أيضا في الامتحان الذي حصل معه افتتان، قال تعالى { أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا } [التوبة: ٤٩]

ثالثا: تطلق علي ما يتناول الأمرين ومنه قوله تعالى : { أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ

{ [العنكبوت: ٢]

رابعا : تطلق علي أعم من كل ما ذكر ومنه قوله تعالى : { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } [التغابن: ١٥] أي

بلاء وشغل عن الآخرة ^(١)

والفتنة بحسب إضافتها .. فتنة المال ... فتنة الأولاد ... وقد تطلق علي أشياء خاصة كالنفاق والكفر حيث أن

أصل الفتنة الاعتبار ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلي المكروه ثم أطلقت علي كل مكروه أو آيل إليه كالكفر

والاثم والتحريق والفضيحة والفجور ولذا فهي بحسب ما يضاف إليها لأن كل شيء فتنة فيقال فتنة المال فتنة الحياة

والفتنة من أقدار الله التي لا بد من الايمان بها وأعظم فتنة هي الكفر.

جاء رجالان في فتنة ابن الزبير فقال إن الناس قد ضيعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي صلى الله عليه وسلم فما يمنعك أن تخرج فقال يمنعني أن الله حرم دم أخي فقالا ألم يقل الله تعالي { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً } [البقرة: ١٩٣] فقال ابن عمر قاتلنا حتى لا تكون فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله^(١)

فالفتنة سنة كونية من سنن الله تعالي

{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٣]

والابتلاء يكون بالسراء والضراء

{وَنَبَلُوكُمْ بِالْبَشْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥]

فلا بد للمؤمن من الصبر والشكر ولا بد من حصول الألم لكل نفس سواء آمنت أم كفرت لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والاخرة

{إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} [النساء: ١٠٤]

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الرَّزْعِ يَفِيءُ وَرَفْءُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكْفِّئُهَا، فَإِذَا سَكَتَتْ اعْتَدَلَتْ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكْفَأُ بِالْبَلَاءِ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأُرْزَةِ صَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ حَتَّى يَفْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ»^(٢)

وفي رواية مسلم «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الرَّزْعِ، تُفِيئُهَا الرِّيحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى، حَتَّى تَهِيحَ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأُرْزَةِ الْمُحْدِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا، لَا يُفِيئُهَا شَيْءٌ، حَتَّى يَكُونَ أُنْجَعَفُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً»^(٣)

الأُرْزَةُ : واحدها أرزة جنس من الشجر من فصيلة الصنوبريات وهي من أتمن الأشجار واعظمها ارتفاعا فيصل ارتفاعها من سبعين إلى ثمانين قدم ويبلغ محيط جرع الشجرة نحو عشرين قدما يفوح من قشره واغصانه عبير هو أزكي من المسك .

المجزية : الثابتة

الخامة : هي الطاقة اللينة من الزرع

تفيعها : أي تميله

١- تاريخ دمشق (٣١/ ١٨٨)

٢- أخرجه البخاري (٧٤٦٦) باب في المشيئة والإزادة: { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ }

٣- أخرجه مسلم (٢٨١٠) باب مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الرَّزْعِ وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأُرْزَةِ

وَسُئِلَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيُّمَا أَفْضَلُ لِلرَّجُلِ، أَنْ يُمَكِّنَ أَوْ يُبْتَلَى؟ فَقَالَ: لَا يُمَكِّنُ حَتَّى يُبْتَلَى، وَاللَّهُ تَعَالَى ابْتَلَى أَوْلِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، فَلَمَّا صَبَرُوا مَكَّنَهُمْ، فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ يَخْلُصُ مِنَ الْأَلَمِ الْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا يَتَفَاوَتْ أَهْلُ الْأَلَامِ فِي الْعُقُولِ، فَأَعْقَلُهُمْ مَنْ بَاعَ أَلَمًا مُسْتَسِيرًا عَظِيمًا بِأَلَمٍ مُنْقَطِعٍ يَسِيرٍ، وَأَشْقَاهُمْ مَنْ بَاعَ الْأَلَمَ الْمُنْقَطِعَ الْيَسِيرَ بِالْأَلَمِ الْعَظِيمِ الْمُسْتَسِيرِ. (١)

ومن كون الفتنة سنة فالله عز وجل ابتلى أفضل الخلق على الاطلاق وهم رسله وكذلك ابتلى اتباع الانبياء .

والبلاء والفتنة مستمران ولا بد للإنسان من الابتلاء والامتحان: قال جل وعلا : { وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ } [الفرقان: ٢٠]

امتحن بعضهم ببعض فامتحن الرسل بأقوامهم وبالعكس وامتحن العلماء بالجهال هل يعلمونهم وينصحونهم ويصبرون علي ذلك وبالعكس هل يطيع الجهال العلماء ويهتدون بهم وامتحن الملوك بالرعية وبالعكس وامتحن الاغنياء بالفقراء وبالعكس كما امتحن الاقوياء بالضعفاء والسادة بالاتباع والمال بمملوكه والرجل بامرأته والرجال بالنساء والمؤمنين بالكفار فمن صبر علي الفتنة كانت رحمة في حقه ونجى بصره من فتنة أعظم منها وإن لم يصبر وقع في فتنة أشد منها

الحكمة من الفتنة والابتلاء

أولا : التمهيد وأصل المحص تخلص الشيء مما فيه من عيب ومنه :- {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ

الْكَافِرِينَ } [آل عمران: ١٤١] وقوله : {وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ } [آل عمران: ١٥٤]

فالله يحص المؤمنين بما يكفر عنهم من ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب وإلا رفع لهم في درجاتهم بحيث ما أصيبوا وعليه فالتمحيص للمؤمنين يكون من ثلاث وجه :

تعويض من الله

رفع الدرجات

تكفير السيئات

أولا : تكفير السيئات : {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ } [العنكبوت: ٧]

قال بن القيم : إن ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الادواء التي لو بقيت فيه أهلكته أو انقصت ثوابه أو

أنزلت درجته فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الادواء (١)

في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، رَوَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا» (٢)

١- زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ١٣)

٢- إغاثة اللهفان (٢/ ١٨٨)

٣- أخرجه البخاري (٥٦٤٠) ومسلم (٢٥٧٢)

هل التكفير للصغائر أم للصغائر والكبائر ؟

هل المصائب تكفر الخطايا فقط أم انها تكفر الخطايا وترفع الدرجات ؟

هل تكفير الخطايا يحصل بمجرد المصيبة أم بالصبر عليها ؟

المسألة الاولى :

روى البخاري من حديث أبي هريرة، يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبْ

مِنْهُ»^(١)

قال الحافظ في الفتح : وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بَشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ لِأَنَّ الْأَدْمِيَّ لَا يَنْفَكُ غَالِبًا مِنْ أَلَمٍ

بِسَبَبِ مَرَضٍ أَوْ هَمٍّ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَاضَ وَالْأَوْجَاعَ وَالْأَلَامَ بَدَنِيَّةً كَانَتْ أَوْ قَلْبِيَّةً تُكْفِّرُ ذُنُوبَ مَنْ تَقَعَّ لَهُ^(٢)

فِي الصَّحِيحِينَ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا

سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»^(٣)

قال الحافظ في الفتح: وَظَاهِرُهُ تَعْمِيمٌ جَمِيعِ الذُّنُوبِ لَكِنَّ الْجُمْهُورَ خَصُّوا ذَلِكَ بِالصَّغَائِرِ لِلْحَدِيثِ الَّذِي تَقَدَّمَ

التَّشْبِيهُ عَلَيْهِ فِي أَوَائِلِ الصَّلَاةِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ كَقَارَاتٍ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتْ

الْكِبَائِرُ فَحَمَلُوا الْمُطْلَقَاتِ الْوَارِدَةَ فِي التَّكْفِيرِ عَلَى هَذَا الْمُفِيدِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْأَحَادِيثِ الَّتِي ظَاهِرُهَا التَّعْمِيمُ أَنَّ

الْمَذْكُورَاتِ صَالِحَةٌ لِتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ فَيُكْفِّرُ اللَّهُ بِهَا مَا شَاءَ مِنَ الذُّنُوبِ وَيَكُونُ كَثْرَةُ التَّكْفِيرِ وَقِلَّتُهُ بِاعْتِبَارِ شِدَّةِ الْمَرَضِ

وَحِفَّتِهِ^(٤)

والذي يظهر والعلم عند الله أن المصائب مكفرات للصغائر والكبائر لعموم الاحاديث المتقدمة وأما حديث

الصلوات الخمس فهو خاص بالأعمال المذكورة ، والمراد أن الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان هي

التي تكفر بشرط اجتناب الكبائر أما البلايا والمصائب والفتن فهي علي العموم .

١- أخرجه البخاري (٥٦٤٥)

٢- فتح الباري (١٠٨ / ١٠)

٣- أخرجه البخاري (٥٦٤٨) ومسلم (٢٥٧١)

٤- فتح الباري (١٠٨ / ١٠)

المسألة الثانية : هل المصائب تكفر الخطايا فقط أم انها تكفر الخطايا وترفع الدرجات ؟

روى الامام مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُيِّتَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»^(١)

قال الامام النووي : فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بَشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ قَلَّمَا يَنْفَكُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ سَاعَةً مِنْ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ وَفِيهِ تَكْفِيرُ الْخَطَايَا بِالْأَمْرَاضِ وَالْإِسْقَامِ وَمَصَائِبِ الدُّنْيَا وَهُمُومِهَا وَإِنْ قَلَّتْ مَشَقَّتْهَا وَفِيهِ رَفْعُ الدَّرَجَاتِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ وَزِيَادَةُ الْحَسَنَاتِ وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ^(٢)

والدليل علي أنه يثاب علي كل مصيبة قال تعالي : { مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَخْلَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِنًا يَعْغِظُ الْكُفَّارَ وَلَا يِنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } [التوبة: ١٢٠]

الشاهد قوله تعالي { إلا كتب لهم به عمل صالح } .

وروى البخاري من حديث أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ، يُتَوَقَّى لَهُ ثَلَاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»^(٣)

وروى مسلم من حديث أبي هريرة قال أبي هريرة، قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِابْنٍ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَشْتَكِي وَإِيَّيَّيَّ أَخَافُ عَلَيْهِ، قَدْ دَفَنْتُ ثَلَاثَةً، قَالَ: «لَقَدْ احْتَظَرْتَ بِحِطَابٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ»^(٤) أي امتنعت بمانع وثيق .

وذهب بعض أهل العلم أن المصائب لا يثاب عليها إنما يثاب على الصبر قال ابن عبد السلام الثواب إنما يكون على فعل العبد لا على فعل العبد فيه قال جل وعلا : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) } [البقرة: ١٥٥ - ١٥٨]

وجه الاستدلال من الآية : ما حصل لهم من صلاة الله عليهم ورحمته لهم وهدايته إياهم إلا بقولهم إنا لله وإنا

إليه راجعون فالاسترجاع هو سبب حصول ما ذكر

١- أخرجه مسلم (٢٥٧٢) بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا

٢- شرح النووي على مسلم (١٢٨ / ١٦)

٣- أخرجه البخاري (١٢٤٨) بَابُ فَضْلِ مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ فَاحْتَسَبَ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } [البقرة: ١٥٥]

٤- أخرجه مسلم (٢٦٣٦)

روى الترمذي أبي موسى الأشعري، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمْدَكَ وَاسْتِرْحَاجَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»^(١)

قسم شيخ الاسلام المصائب التي تنزل علي العبد الي قسمين :

القسم الاول : مصائب وابتلاءات بسبب اختيار العبد طاعة الله وطريق الاستقامة فهذه يثاب العبد علي نفس

المصائب ويكتب له بها عمل صالح

والدليل قوله تعالى : { مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } [التوبة: ١٢٠]

فدلت الآية صراحة على حصول الثواب من أجل الابتلاءات المتولدة من اختيار العبد طاعة الله عز وجل.

القسم الثاني : مصائب تجري على العبد وليس للعبد اختيار فيها كالمرض وموت عزيز ونحوه فهذه يثاب العبد

عليها إذا صبر فالصبر يولد الأجر والثواب على هذه المصائب يكون بالصبر لا بالمصيبة .

المسألة الثالثة : هل التكفير حاصل بمجرد المصيبة أم لا بد من الصبر ؟

الجواب : تقدم من كلام شيخ الاسلام.

ينقسم الناس في سلوكهم مع اقدار الله الي أربعة اقسام :

القسم الاول : من يرضى عن ربه فيها لمزيد من حبه والشوق إليه وهذا نشأ من مشاهدتهم للطف الله فيهم وبره

وإحسانه العاجل والآجل به .

القسم الثاني : من يشكر الله على المصائب كما يشكره على النعم وهذا فوق الرضا

القسم الثالث : من يصبر على أقدار الله ولا يتحقق الرضا والشكر إلا بالصبر .

القسم الرابع : الجذع و السخط و التشكي واستبطاء الفرج

١- أخرجه الترمذي (١٠٢١) وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٠٨)

قال الامام القرافي : الْمَصَائِبُ كَفَّارَاتٌ جَزْمًا سَوَاءٌ اقْتَرَنَ بِهَا الرِّضَا أَمْ لَا لَكِنَّ إِذَا اقْتَرَنَ بِهَا الرِّضَا عَظُمَ التَّكْفِيرُ وَإِلَّا قَلَّ كَذَا قَالَ وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْمُصِيبَةَ كَفَّارَةٌ لِذَنْبٍ يُوَازِيهَا وَبِالرِّضَا يُوجِرُ عَلَى ذَلِكَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَصَابِ ذَنْبٌ عَوَّضَ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ بِمَا يُوَازِيهِ ^(١) كالأَنْبِيَاءِ وَالصَّبِيَّةِ الصَّغَارِ لِأَبَائِهِمْ إِنْ صَبَرُوا عَلَيَّ مَرَضَ آبَائِهِمْ

هل المصائب في الدنيا للمؤمنين فقط ؟

الجواب: أنها ليست خاصة بالمؤمنين فما يرى فيه الكافر من العز والنصر والجاه فهو دون ما يحصل للمؤمنين بكثير بل باطن ذلك ذل وانكسار وهوان وإن كان في الظاهر بخلافه .

اشكال: روى مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» ^(٢)

معنى الحديث أن كل مؤمن ممنوع مسجون في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروه مكلف بفعل الطاعات الشاقة فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة . وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قتلته وتكديره بالمنغصات فإذا مات صار إلى العذاب الاليم

وممكن أن يزول هذا الاشكال بقولنا أن المؤمن إذا علم على ما هو فيه بالدنيا من العز والنصر بالنسبة إلى ما يلاقه عند الله في الجنة من النعيم المقيم كأنه في سجن ، أما الكافر لما هو فيه في هذه الحياة الدنيا على أي حال بالنسبة على ما أعدده الله من النكال والعذاب هو في جنة .

هل للمسلم أن يستدعي البلاء علي نفسه؟

الجواب : مع ما في الابتلاء والفتن من الاجر العظيم دلت النصوص الشرعية والسنة العملية لخير البرية علي أنه لا يجوز للمسلم ان يستدعي البلاء

ومنها ما رواه الإمام أحمد من حديث حُدَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يُدِلَّ نَفْسَهُ» ، قِيلَ: وَكَيْفَ يُدِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ» ^(٣)

١- فتح الباري لابن حجر (١٠ / ١٠٥)

٢- أخرجه مسلم (٢٩٥٦)

٣- أخرجه أحمد (٢٣٤٤٤) وابن ماجه (٤٠١٦) وصححه الألباني في الصحيحة (٦١٣)

وفي الصحيحين من عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ [الطاعون] بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»^(١)

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، فَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا»^(٢)

وفي رواية عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلِّ الشَّيْطَانِ»^(٣)

قال شيخ الاسلام : لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْعَى فِيمَا يُوجِبُ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ فَيَنْخَلُ بِالْوَفَاءِ^(٤)

وهذا لا يسقط الواجب على المسلم بل عليه أن يفعل ما أوجبه الله عليه فعلى المسلم أن يسلك سبيل الدعوة إلى الله بالطرق التي بينها الله ورسوله ﷺ وإذا حصل له ضرر فعليه أن يدفعه بكل وسيلة مشروعة وعليه أن يصبر ويحتسب فإنه اعظم لأجره .

أنواع الفتن

تنقسم اجمالاً إلى قسمين الشهوات والشبهات وقد تجتمع الفتنتان كما في المسيح الدجال

أولاً فتنه الشبهات : هي المعارضة للعقيدة التي لا يسلم منها إلا من عرف الله ورسوله ﷺ وهي تأتي من ضعف البصيرة وقلة العلم وخاصة إذا أفتن بذلك فساد القصد وحصول الهوى وهي تؤدي إلى الكفر والنفاق والبدع .

ثانياً فتنه الشهوات : هي المعارضة للإرادة وقد تجر فتنه الشهوة إلى شبهة فالشبهات هي الغي واتباع الهوى فالإنسان إذا تهادى مع نفسه وأطلق لها العنان في كل ما تشتهيه فإن ذلك سيجره إلى تلبية الهوى حتى في الامور الاعتقادية أو الاحكام الشرعية مما يجعله يبني أحكاماً توافق هوى نفسه وشهوته فيقع في الشبهات .

قال شيخ الاسلام : فالله عز وجل بعث محمداً بالهدى ودين الحق { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [الصف: ٩] فَبِالْهُدَى يُعْرَفُ الْحَقُّ، وَبِالدِّينِ الْحَقِّ يُقْصَدُ الْحَيْرُ

١- أخرجه البخاري (٦٩٧٣) ومسلم (٢٢١٩)

٢- أخرجه البخاري (٣٠٢٦) ومسلم (١٧٤١)

٣- أخرجه البخاري (٢٨١٨) ومسلم (١٧٤٢)

٤- مجموع الفتاوى (٣٨ / ١٠)

وَيُعْمَلُ بِهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ عِلْمٍ بِالْحَقِّ، وَقَصْدٍ لَهُ وَقُدْرَةٍ عَلَيْهِ. وَالْفِتْنَةُ تُضَادُّ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهَا تَمْنَعُ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ أَوْ قَصْدَهُ أَوْ الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ فِيهَا مِنَ الشُّبُهَاتِ مَا يُلْبِسُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، حَتَّى لَا يَتَمَيَّزَ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ أَكْثَرِهِمْ، وَيَكُونُ فِيهَا مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ مَا يَمْنَعُ قَصْدَ الْحَقِّ وَإِرَادَتَهُ، وَيَكُونُ فِيهَا مِنْ ظُهُورِ قُوَّةِ الشَّرِّ مَا يُضْعِفُ الْقُدْرَةَ عَلَى الْخَيْرِ^(١)